١٩٥٥

الأسلحة الروسية

obeikan.com

obeikan.com

تأسست العلاقات الدبلوماسية بين روسيا (الاتحاد السوفيتي) ومصر في سنة ١٩٤٣. وكانت الخطوة الأولى للتعاون بين البلدين في سنة ١٩٤٨ حين وقعا أول اتفاقية اقتصادية لمقايضة القطن المصري بحبوب وأخشاب من الاتحاد السوفيتي.

وتوثقت العلاقات بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢. ورغم أن عبد الناصر لم يثق في الروس ثقة كاملة، وعارض نشر الشيوعية في مصر وفي المنطقة، صار حليفا للروس بسبب رفض الغرب مده بالسلاح، ومساعدته في بناء السد العالي.

وبالإضافة إلى الأسلحة، والسد العالي، هناك مساهمات أخرى مثلك مصنع الحديد والصلب في حلوان ومصنع الألمونيوم في نجع حمادي، والخط الكهربائي من أسوان إلى الإسكندرية. وزود الروس القوات المسلحة المصرية منذ الخمسينات بأسلحة سوفيتية. وتلقت العلم هناك أجيال النخبة السياسية والعلمية والثقافية، ومنهم الرئيس السابق حسنى مبارك.

ورغم التوتر الذي شهدته العلاقات بين البلدين في عهد الرئيس السابق أنور السادات وانقطاعها تماما حتى سبتمبر ١٩٨١، بسبب طرد السادات للخبراء الروس، وتحالفه مع الولايات المتحدة، تحسنت قليلا في عهد الرئيس مبارك، ومع بداية الثورة عليه.

مستقبل ناصر: ٧- ١- ١٩٥٥

من: السفارة، تل أبيب

إلى: وزير الخارجية

« ... حسب ملاحظات السفارة، وحسب تصريحات مسئولين إسرائيليين لدبلوماسيين في السفارة، هناك اتفاق وسط الإسرائيليين على أن التقارب بين إسرائيل ومصر هو أساس أي تسوية بين إسرائيل والعرب.

وقال موسى شاريت، رئيس الوزراء، مؤخرا لدبلوماسي في السفارة: «يجب أن نقتنع بان مصر هي مفتاح حل المشكلة.» وقال وزير الدفاع لافون لدبلوماسي في السفارة: «إذا وصلنا إلى اتفاق مع مصر، كل شيء سيصبح سهلا.»

ووصف لافون الدول العربية كالآتي:

أولا: لبنان: دولة صغيرة، تحدد مصيرها تحركات الدول الكبرى في المنطقة.

ثانيا: الأردن: فوضى، ولكن يقدر البريطانيون على حل بعض مشاكلها، على شرط أن يحل البريطانيون أولا مشكلتهم مع مصر.

ثالثا: سوريا: ضعيفة ومنقسمة، ولهذا، لا تشكل خطرا على إسرائيل ...

لاحظنا، أيضا، أن المسئولين الإسرائيليين يعتقدون أن نظام الرئيس المصري جمال عبد الناصر لن يستمر طويلا. ولهذا، يشكون في قدرته على مواجهة الضغوط العربية، والضغوط الداخلية في مصر، وعلى بداية مفاوضات مع إسرائيل لحل المشكلة بالصورة التي ستقبلها إسرائيل ... »

أهمية مصر: ٢٧- ١- ١٩٥٥

محضر اجتماع في الخارجية:

سياستنا في الشرق الأوسط:

« ... أول خطوة يجب أن تكون نحو مصر، وذلك بان نفعل الأتي:

أولا: دعم مجلس قيادة الثورة.

ثانيا: دعم مصر كقوة هامة في الشرق الأوسط.

ثالثا: تقديم مساعدات عسكرية في نطاق حل سلمي مع إسرائيل..

رابعا: تقديم مساعدات لبناء السد العالي ...

بالنسبة لإسرائيل، علينا أن ننتظر لنرى كيف سيتصرف ناصر. وبعد أن نقدم خطة سلام لإسرائيل، سنقدمها لناصر. ويجب أن نبلغ الطرفين بأننا جادين. ويجب أن نحذر الجانبين من فشل المفاوضات. وإذا فشلت المفاوضات بالنسبة لإسرائيل، علينا، بالاتفاق مع بريطانيا، أن نحملها المسئولية ...»

***

المساعدات الأمريكية: ١٤- ٢- ١٩٥٥

من: الخارجية

إلى: السفير، القاهرة

« ... نرفق مع هذا رسالة إلى ناصر حول المساعدات العسكرية. ونشير إلى بعض ما جاء فيها: «يعتمد برنامج منحة عسكرية إلى مصر على قرار الكونغرس عندما يجيز الميزانية السنوية التي أرسلت إليه. ونعتقد أن هذا القرار سيتأثر برأي أعضاء الكونغرس في السياسات المصرية الحالية ...

لا توجد في الخطاب المرفق إلى ناصر إشارات مباشرة إلى قلق أعضاء الكونغرس بسبب التطورات الأخيرة في مصر. وتعرفون أن من أسباب هذا القلق غموض موقف ناصر، الذي تزيد قوته في مصر يوما بعد يوم، حول العلاقات مع إسرائيل.

ونرفق، أيضا، نسخة تقرير عن الوضع في مصر كان طلبه منا أعضاء في الكونغرس ... »

(توجد في التقرير الأخير إشارات إلى زيادة قوة ناصر، منها:

أولا: سنة ١٩٥٣، اصدر ناصر قرار منع الأحزاب السياسية، وتأسيس حزب واحد، حزب التحرير.

ثانيا: سنة ١٩٥٤، اختلف ناصر مع الرئيس محمد نجيب اختلافات علنية. وبعد أن أمر ناصر باعتقاله، أعاده إلى منصبه، وصار هو رئيسا للوزراء. وعين ناصر صديقه عبد الحكيم عامر قائدا للقوات المسلحة، وهو المنصب الذي كان يشغله نجيب).

مقابلة سرية: ١- ٣- ١٩٥٥

من: السفير هنري بايرود (جديد)، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... جاءتني، بعد فترة قصيرة من وصولي القاهرة، رسالة من ناصر بأنه يريد مقابلتي سرا، وبأسرع فرصة ممكنة، وبدون الانتظار حتى أقدم أوراق اعتمادي. وقابلته، ليلة أمس، في منزل خاص، وكان معه زكريا محي الدين، وعلى صبري، واللواء حسن

التهامي (مدير مكتب ناصر).

كان كل النقاش عن حلف بغداد ...

لاحظت كراهية مصرية عامة لنوري السعيد (رئيس وزراء العراق)، لكنني لم أضع اعتبارات لها في تقييمي للموضوع.

بدا ناصر متعبا، وكأنه انهزم أمام الأمر الواقع، وكرر: «ما حدث حدث، ولا داع لتبادل الاتهامات، وعلينا أن نفكر في المستقبل.»

لا زلت لا أفهم عمق العواطف والأحاسيس المصرية عن هذا الموضوع. لكنني اشعر بان ناصر يحس وكأننا خيبنا أمله، ووقفنا إلى جانب نوري السعيد. أعتقد أنه يعتقد انه قدم خطة مضادة للغرب. لكن، حسب منطقنا، لم تكن خطته واضحة ...

أعتقد أن ناصر كان يريد جمع الدول العربية في جبهة واحدة حليفة للغرب، بقدر ما يسمح له الرأي العام المصري، والرأي العام العربي. كان يريد ذلك بدون أن يوقع على أي اتفاقية، فقط علينا أن نثق نحن فيه، وفي حلفائه القادة العرب، كان يريد اتفاقا على أسس شخصية. كان سيؤكد لنا بأنهم سيقفون معنا في حالة حرب (أو مشاكل بسبب النفوذ الشيوعي في المنطقة).

أعتقد أن ناصر كان يريد خلق إحساس حقيقي وسط الشعوب انعربية لتكون صديقة لنا ...

في نهاية الاجتماع، قال لي ناصر انه يريد أن نتقابل مرة أخرى «في المستقبل القريب.» اعتقد انه يريد الانتظار حتى يعود صلاح سالم من جولة في دول عربية لمتابعة ردود الفعل لإعلان حلف بغداد ... »

(يوم ٢٤-٢-١٩٥٥، قبل هذا الاجتماع بأسبوع، وقع العراق على اتفاقية الانضمام إلى الحلف الذي كان يضم تركيا، وباكستان، وإيران، وبريطانيا.

يوم ٢٦-٢-١٩٥٥، قبل هذا الاجتماع بأربعة أيام، وصل صلاح سالم إلى سوريا، في جولة لتوحيد الدول العربية المعارضة لحلف بغداد.

يوم ٢-٣-١٩٥٥، بعد هذا الاجتماع بيومين، أعلنت مصر وسوريا، في بيان مشترك، رفضهما الحلف.

يوم ٦-٣-١٩٥٥، وقعت مصر وسوريا والسعودية بيانا مشتركا بنفس المعنى تقريبا. ولم تنضم الأردن إليهم، رغم أن صلاح سالم كان زارها، وزار السعودية، في هذا الجولة).

ناصر وصلاح سالم: ٢١- ٣- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... لا أعتقد، بسبب أحداث غزة (العدوان الإسرائيلي على غزة، وكان ثالث عدوان خلال سنتين)، أن ناصر يريد الآن الحديث عن صداقة بين بلدينا. وأيضا، بسبب عوامل مصرية داخلية. وبسبب غضب كثير من الشعوب العربية على دورنا في تأسيس حلف بغداد.

أعتقد أن هناك احتمالات سوء فهم بيننا وناصر لأكثر من سبب:

أولا: حساسية الموضوع.

ثانيا: عدم الاتفاق على طريقة تفكير معينة بيننا وبينه.

ثالثا: لا يعرف ناصر تعقيدات السياسة الأميركية، خاصة مناقشتها، وكتابتها. وتنفيذها.

رابعا: توجد اختلافات بين ناصر وبعض زملائه في مجلس قيادة الثورة ...

يوجد مثال لهذه النقطة الأخيرة عندما اعترض ناصر على تصريحات صلاح سالم الحماسية ضدنا، وضد بريطانيا. خاصة بعد تأسيس حلف بغداد. وخاصة قول صلاح سالم بان الحلف مخطط ليضم إسرائيل في المستقبل ...

أرى أن الوقت ليس مناسبا لعرض الخطة الأمريكية البريطانية حول إسرائيل على ناصر. لكني لا أعارض استمرار اجتماعات سرية وغير رسمية مع ناصر لمعرفة تفاصيل

آرائه ... »

(بمناسبة وصول سفير أمريكي جديد إلى مصر: أول دبلوماسي كان «قنصلا» دانيال ماكولي، سنة ١٩٤٨. وأول «مبعوث فوق العادة» كان نورتون هاويل، سنة ١٩٢٢. وأول «سفير فوق العادة» كان بنكي تاك، سنة ١٩٤٦. عندما قامت ثورة ١٩٥٢، كان السفير هو جفرسون كافري.

وفي سنة ١٩٥٥ خلفه هنري بايرود. وفي سنة ١٩٥٦، جاء ريموند هير.

وفي سنة ١٩٦٠، فردريك راينهارت.

وفي سنة ١٩٦١، جون بادو. وفي سنة ١٩٦٤، لوسيوس باتيل.

وفي سنة ١٩٦٧، رتشارد نولتي. قضى الأخير شهرين فقط، لان ناصر قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا بسبب دعمها لإسرائيل في حرب يونيو).

وظل دونالد بيرقس القائم بالأعمال الأميركي، تابعا لسفارة اسبانيا في القاهرة، حتى بعد وفاة ناصر سنة ١٩٧٠. في سنة ١٩٧٤، استأنف الرئيس السادات العلاقات، وبدأت سلسلة جديدة من السفراء الأمريكيين).

(توضح إشارة السفير الأمريكي إلى أنه لا يعترض على «استمرار اجتماعات سرية وغير رسمية مع ناصر لمعرفة تفاصيل آرائه» إلى نشاطات كوبلاند، مؤلف كتاب «لعبة الأمم.» كشف كوبلاند في كتابه علاقات ناصر معه، ومع عملاء آخرين، علنيين وسريين، للاستخبارات الأمريكية. لكن، في نهاية الكتاب، قال كوبلاند أن دالاس، وزير الخارجية، وأصدقاء إسرائيل في الكونغرس، عرقلوا محاولات الاتفاق مع ناصر على التعاون والصداقة بين البلدين.

كما أن كوبلاند نفسه، وكان من الذين اشتركوا في «اجتماعات سرية وغير رسمية مع ناصر»، كتب في نهاية كتابه فصلا كاملا عنوانه: «الناصرية والإرهاب»، قال فيه أن ناصر «إرهابي» ويؤيد «الحركات الإرهابية» في المنطقة، يقصد مقاومة بريطانيا في عدن، وفرنسا في الجزائر، وغيرهما).

***

خطة «ألفا» السرية: ٥- ٤- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... كان جزءا كبيرا من اجتماعي اليوم مع ناصر عن مواضيع عربية، وموضوع «ألفا». وجدته أقل حماسا من وزير الخارجية محمود فوزي...

وقال لي ناصر أنه ليس متأكدا من موقفه من «ألفا.» ويخشى أن أعداء مصر سيتهمونه بالوقوع في شرك لإضعاف مصر. وقلت له أننا نحرص على مشروع «ألفا» لأنه لا يوجد بديل آخر (لحل مشكلة فلسطين وإسرائيل).

وفهمت من ناصر أنه يريد علاقات مستقرة معنا. وبدون مفاجآت. وأعتقد أنا بأننا يمكن أن نثق في بعضنا البعض، ولكن إذا صرنا واضحين، وتحاشينا المجاملات والحذر الدبلوماسي.

بالنسبة لمشروع «ألفا»، أرى أن نكشف كل أوراقنا على الطاولة. وأعتقد أن ناصر سيقبل استمرار تطوير المشروع، على أن يكون قبوله سرا، وبدون أن يلتزم بتنفيذ المشروع بعد أن يظهر في صورته النهائية. وقال لي ناصر أنه يفضل الانتظار قبل أن يحدد موقفه انتهائي حتى يعود من مؤتمر باندونق ... ».

(مشروع «ألفا»: سنة ١٩٥٤، بدأت أمريكا وبريطانيا مشاورات خطة سلام سرية بين إسرائيل والدول العربية، تعتمد على :

أولا: تعويضات مالية للاجئين الفلسطينيين لحل لمشكلتهم.

ثانيا: ضمانات حول أمن إسرائيل وراء حدود متفق عليها.

ولعب روبرت جونسون، محامي من ولاية تكساس، وصديق للرئيس أيزنهاور، دورا رئيسيا، بدعم من وكالة الاستخبارات المركزية، «سي أى إيه». لكن، فشلت «ألفا»، ومن أسباب فشلها:

أولا: لم تتفق مصر وإسرائيل.

ثانيا: لم تضغط أمريكا وبريطانيا على إسرائيل الضغط المطلوب.

لكن، حملت أمريكا وبريطانيا ناصر مسئولية الفشل. وزاد هذا من غضب بريطانيا على ناصر. ووصل الغضب قمته في اشتراك بريطانيا في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦.

بعد «ألفا»، ظهرت «اوميقا»، أيضا، خطة سرية أمريكية وبريطانية للضغط على ناصر. وفشلت أيضا).

(مؤتمر باندونق: يوم ١٨-٤-١٩٥٥، انعقد في باندونق، ثالث اكبر مدن اندونيسيا، أول مؤتمر للدول الأسيوية والإفريقية المستقلة. وكانت أغلبية الدول نالت استقلالها لتوها. حضرت المؤتمر ٢٨ دولة، ومثلت ربع سكان العالم تقريبا، وقرابة بليون ونصف بليون شخص. وعلى رأس الدول: اندونيسيا، باكستان، الهند، الصين واشرف عليه رسلان عبد الغني، وكيل وزارة الخارجية الاندونيسية. وعارض المؤتمر الاستعمار والاستعمار الجديد، من جانبي المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي. وكان بداية حركة عدم الانحياز، بقيادة ناصر، ونهرو، رئيس وزراء الهند، وتيتو، رئيس يوغسلافيا. تستمر حركة عدم الانحياز إلى اليوم. وعقدت، في سنة ٢٠٠٥، مؤتمرا في باندونق بمناسبة مرور ٥٠ سنة على أول مؤتمر).

إسرائيل: اجتماع سري: ٦- ٤- ١٩٥٥

من: وزارة الخارجية

إلى: سفارة مصر، واشنطن

«... في اتصال مع الين، مساعد الوزير، قال أبا ايبان، سفير إسرائيل هنا، تأكيدا لرأي شاريت، رئيس وزراء إسرائيل، أنه يريد مساعدتنا لترتيب لقاء سرى بين مصر وإسرائيل لمناقشة توتر الوضع في غزة بعد العملية الإسرائيلية ... وقال ايبان أن عرضه «ليس حيلة دعائية.» وانه يعرف صعوبة إقناع الرأي العام في مصر. ولهذا، لا ترفض إسرائيل مقابلة سرية، ربما في الكيلو ٩٥، أو في دولة أوروبية ...

نود أن تسدونا برد الفعل المصري على هذه الفكرة، رغم أننا نعرف أنها لا تزال في

مراحلها الأولى ... »

(العملية الإسرائيلية في غزة: عبرت القوات الإسرائيلية، في فبراير ١٩٥٥، خط الهدنة مع مصر، وهجمت على قوات مصرية، وقتلت ٣٧ جنديا مصريا. وقالت أن ذلك رد على مساعدة القوات المصرية للفدائيين الفلسطينيين الذين عبروا الحدود إلى إسرائيلن وقاموا بعمليات عسكرية قتلت بعضها إسرائيليين).

(توجد في دورية «ميدل ايست ستديز» (دراسات الشرق الأوسط)، يوليو ١٩٩٠، دراسة عنوانها: «مبادرات السلام السرية بين مصر وإسرائيل قبل حرب السويس.»)

تحاشي الحرب: ٦- ٤- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... اقتنعت، بعد لقاء مع ناصر أمس، بأنه لا يريد حربا مع إسرائيل في الوقت الحاضر. واقتنعت بأنه، بقدر ما يقدر عليه كبشر، يريد العمل في اتجاه الحذر. لكن، في الجانب الآخر، لا يقدر على أن يتحمل هجوما إسرائيليا آخرا على غزة، وألا ستكون قيادته لمصر في خطر ...

أعتقد أن ناصر سيكون أمام خيارين إذا هاجمت إسرائيل مرة أخرى: في جانب، لا يتحرك. وفي جانب آخر، يشن هجوما مضادا ضد إسرائيل، وهذا، بدون شك، سيقود إلى هزيمته.

أعتقد أننا لا نقدر على أن ننقذ ناصر في الحالتين. لكننا، يجب أن نضع في الاعتبار أن وضعنا في الدول العربية سيتضرر إذا هاجمت إسرائيل غزة مرة أخرى، وإذا فشلنا نحن في اتخاذ موقف فعال ...

ولابد من الربط بين آراء ناصر هذه وبين البرقية التي أرسلتموها لي من سفارتنا في تل أبيب عن رأي الإسرائيليين في ناصر...

(قالت برقية تل البيت، حسب وثيقة أخرى، أن الإسرائيليين منقسمين حول ناصر:

جانب يرى أن بقاءه في الحكم في مصلحة إسرائيل على المدى البعيد، وجانب يرى أن لابد من إسقاطه لتحل محله حكومة مصرية ضعيفة تقدر إسرائيل على التفوق عليها. وفي الحالتين، يتفق الجانبان على أن مجلس قيادة الثورة المصري هش، وان إسرائيل تقدر على إسقاطه بعملية عسكرية).

اخطأ ناصر: ٦- ٦- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

(بعد هجوم إسرائيلي ثاني في غزة في مايو سنة ١٩٥٥، ثم هجوم في الخامس من يونيو، في نفس السنة)

«... قابلت ناصر أمس، واشتكى بان البيان الأمريكي وضع اللوم على مصر. وقال أنه يحس بأنه مسئول مسئولية شخصية عن الخسائر التي وقعت في غزة، وذلك لأنه، في المرة الأولى، كان قال للقوات المصرية هناك أن إسرائيل لن تهاجم مرة أخرى. وها هي هاجمت مرة ثانية، ثم ثالثة.

وقلت له أننا لا ننحاز إلى جانب إسرائيل، لكن تقرير المراقبين الدوليين، على خط الهدنة، أوضح أن مصريين بدؤوا بإطلاق النار نحو المواقع الإسرائيلية ...

وتحدث ناصر، بطريقة غير مباشرة ومبهمة بعض الشيء، عن «لقاء على مستوى عالي» مع قادة إسرائيل. وقال أنه إذا وافقت الحكومة المصرية على اجتماع مع بن قوريون (رئيس وزراء إسرائيل)، سيكشف للجميع أن بن قوريون عدواني.

ونصحت ناصر ألا يفعل ذلك، وألا يعلنه، لان أي اجتماع مع بن قوريون سيضعف المعتدلين داخل إسرائيل. واقترحت أن يكون اللقاء على مستوى قادة القوات المسلحة في البلدين ...

(اخطأ ناصر: بعد هجوم إسرائيل على غزة يوم الخامس من يونيو سنة ١٩٥٥، قال ناصر أنه يتحمل المسئولية لأنه كان قال للقوات المصرية في غزة أن إسرائيل لن تهاجم مرة ثانية. ويوم الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧، بعد أثنى عشرة سنة تماما، شنت

إسرائيل هجوما كاسحا على مصر، وسوريا، والأردن. وقال ناصر أنه يتحمل المسئولية. هذه المرة، استقال. ثم عدل عن استقالته بسبب «رغبة الجماهير»).

أيزنهاور وايدن: ٢٠- ٧- ١٩٥٥

من: السفارة الأمريكية، جنيف

إلى: وزير الخارجية

«... خلال اجتماع الرئيس أيزنهاور مع رئيس وزراء بريطانيا، أنتوني إيدن، ناقشا الوضع في الشرق الأوسط، وموضوع إرسال أسلحة إلى مصر. وعن هذا الموضوع حدث الآتي:

أشار الوزير دالاس إلى أن ناصر طلب شراء أسلحة أمريكية. وقال دالاس أن الكمية، بالنسبة لهم، كبيرة جدا. وأنهم طلبوا دبابات، وبنادق، وأسلحة. وقال أن ناصر لمح إلى أن سيشترى أسلحة من الروس إذا رفضت أمريكا.

وقال ايدن أن شراء ناصر أسلحة من روسيا سيكون شيئا سلبيا. لكنه يشك في أن الروس سيبيعون أسلحة إلى ناصر.

وقال دالاس أن في إمكان الولايات المتحدة بيع الأسلحة إلى ناصر، وليس إرسالها كجزء من مساعدات ... »

(في خطاب بنفس التاريخ من السفير الأمريكي في القاهرة إلى وزير الخارجية في واشنطن:

«إذا رفضنا طلب ناصر شراء أسلحة أمريكية، ستكون لذلك عواقب مخيبة لسياستنا في المنطقة. اعتقد أن مصلحتنا تقتضي الموافقة على طلب ناصر، حتى لا يقتنع بأنه لا أمل لتأسيس علاقة مثمرة معنا. واعتقد، في نهاية المطاف، أن هناك احتمالا كبيرا بان يتجه ناصر نحو الروس ... »).

(في وثيقة أخرى، خطاب من الخارجية إلى السفير الأمريكي في القاهرة، قبل الخطاب أعلاه من السفير بيومين. وجاء فيه: «إذا وافقنا على طلب مصر، سنضع أنفسنا

تحت ضغط قوي للسماح لإسرائيل بشراء كمية متشابهة من نفس الأسلحة... هل تقدرون على التوصية بتخفيض حجم الأسلحة في القائمة المصرية مقابل قائمة مخفضة لإسرائيل أيضا؟»).

السودان: ٢٥- ٧- ١٩٥٥

من: السفير، لقاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... بمناسبة احتفالات ثورة ٢٣ يوليو في مصر، دعا المصريون رئيس وزراء السودان، إسماعيل الأزهري، مع قادة وحكام عرب آخرين ...

وكأنهم لم يدعوه ...

قبل الاحتفالات بشهر، بدأت الصحف المصرية تهاجم الأزهري، بعد أن تأكد لها أنه تحول، نهائيا، من الاتحاد مع مصر إلى الاستقلال الكامل. يوم ٢٧-٦-١٩٥٥، بدأ إحسان عبد القدوس الهجوم في مجلة «روز اليوسف.» وانضمت إلى الهجوم جريدتا النظام: «التحرير» و «الجمهورية». ثم الجريدة المستقلة «الأخبار».

أشارت هذه الصحف إلى «التغيير المفاجئ في موقف الأزهري.» واتهمت «الامبريالية الأمريكية والبريطانية» بأنهما تريدان فصل السودان عن مصر، وربطه بدول شرق إفريقيا. وحذرت السودان بأنه سيصير مثل ليبيا (الملكية) والأردن (الملكي) اللتين «فقدتا استقلالهما لتحالفهما مع الدول الغربية.» وقالت افتتاحية جريدة «التحرير»: «يجب وقف الأزهري قبل أن يزور الانتخابات القادمة لصالح الذين لا يريدون الوحدة مع مصر.»

ونشرت هذه الصحف مقابلات مطولة مع محمد نور الدين. حليف مصر الذي طرده الأزهري من الوزارة. ونشرت برقيات تأييد للاتحاد مع مصر من منظمات سودانية هناك، مثل: جمعية اللواء الأبيض، والاتحاد السوداني، واتحاد الطلاب السودانيين، وأولاد العباس. وشطبت كثير من هذه المنظمات اسم الأزهري كرئيس فخري لها، بعد أن كانت وضعت الاسم بعد أن صار رئيسا للوزراء.

ومن مصادرنا الخاصة، علمنا الآتي:

أولا: خططت الاستخبارات المصرية مع بعض منظمات السودانيين في مصر لعرقلة أي مظاهرة، وإدانة أي جمعية، تؤيد استقلال السودان.

ثانيا: يقف وراء هذا صلاح سالم، عضو مجلس قيادة الثورة ووزير شئون السودان.

ثالثا: حصل إحسان عبد القدوس، رئيس تحرير مجلة «روز اليوسف»، على رشاوي، وعلى تخفيض عشرة في المائة من قيمة ورق الصحف مقابل تشديد الهجوم على الأزهري ... »

ناصر وسالم:

« ... كان ناصر أقل غضبا على الأزهري من صلاح سالم. لكنه غضب. وفي خطبة علنية رسمية، طلب من «الإخوان السودانيين» التخلص من «الاستعمار وأذناب الاستعمار.»

وقال لنا مصدر قريب من ناصر أنه كان معتدلا في غضبه على تحول الأزهري من الاتحاد مع مصر إلى الاستقلال الكامل. لكن، بعد فشل مفاوضات تقسيم ماء النيل بين مصر والسودان، وطلب الأزهري من الوفد السوداني أن يعود، تحول ناصر من الاعتدال إلى العداء.

وظهر عداء ناصر عندما وصل الأزهري إلى القاهرة للاشتراك في احتفالات ذكرى ثورة ٢٣ يوليو.

على منصة الاحتفال والعرض العسكري، لم يجلسوا الأزهري في المقدمة، مع رؤساء الجمهورية والوزارة. ولكن في مكان جانبي، مع الوزراء المصريين، وشخصيات سابقة، مثل الرئيس السوري السابق شكري القوتلي، ومفتي القدس السابق أمين الحسيني .

وعندما انتهى العرض العسكري، حيا ناصر رؤساء الوفود، ولم يحيي الأزهري، وغادر المكان. وفي الحال، دخلت مكان العرض مظاهرة اشترك فيها خمسمائة شخص تقريبا، وهتفت مع وحدة مصر والسودان. وكان واضحا أنها بترتيب من الاستخبارات المصرية.

وقال لنا صحافي من باكستان أن الأزهري، الذي كان يجلس قريبا من السفير الباكستاني، قال للسفير أنه أصيب بخيبة أمل كبيرة لان ناصر تعمد أن يحرجه أمام كل هذه الوفود العالمية. وانه، الأزهري، سيعود إلى السودان، ويكون متشددا أكثر ضد الاتحاد مع مصر ...

رأينا:

أولا: تبدو معاملة المصريين لرئيس وزراء السودان مثل معاملتهم لرئيس وزراء العراق، نوري السعيد، بعد أن دخل العراق في معاهدة الدفاع الوسطى (حلف بغداد) مع تركيا.

ثانيا: حسب معلوماتنا، في وقت لاحق، بعد أن صار واضحا لناصر أن أغلبية السودانيين ضد الاتحاد، نصح صلاح سالم بعدم الضغط عليهم.

ثالثا: لا يتوقع المصريون أن يرضخ الأزهري، ويؤيد الاتحاد معهم. لكنهم إما يريدون التخلص منه ليأتي رئيس وزراء جديد اقرب إلى مصر منه. أو ليتأكد للأزهري أن مصر تقدر على أن تؤثر على السودان تأثيرات كثيرة ... »

سالم والسودان: ٣٠- ٧- ١٩٥٥

من: مكتب الاتصال الأمريكي، الخرطوم

إلى: وزارة الخارجية، واشنطن

صورة إلى: السفير بايرود، القاهرة

«... عدت من القاهرة بعد أن اشتركت مع السفير بايرود في مقابلة صلاح سالم، عضو مجلس قيادة الثورة، ووزير شئون السودان. كان صلاح سالم اشتكاني للسفير، وقال إنني جزء من سياسة أميركية عدوانية ضد مصر. وفضل السفير أن يأخذني معه إلى صلاح سالم.

طلب منى السفير أن ابدأ الحديث. وأنا قلت أن مقابلاتي مع صلاح سالم، عندما زار الخرطوم أكثر من مرة، كانت مفيدة جدا بالنسبة لي لمعرفة تعقيدات الوضع في السودان، وتعقيدات علاقات السودان الدولية.

لكن، كرر صلاح سالم آراءه التي سمعتها في الماضي بان السودانيين مختلفون في قبائلهم، وعاداتهم، ولغاتهم. وأنهم لن يقدروا، أبدا، على العمل كشعب واحد.

وقال صلاح سالم أن البريطانيين يريدون فصل السودان عن مصر. ولا يفهم لماذا يتحالف معهم الأمريكيون لتحقيق ذلك.

وأنا قلت أن هذا ليس صحيحا، وأن مكتب الاتصال الأمريكي في الخرطوم مكتب محايد.

ورد صلاح سالم أن عنده أدلة أن الولايات المتحدة تصرف مبالغ كبيرة في السودان لإبعاده عن الاتحاد مع مصر.

وطلب السفير بايرود من صلاح سالم أن يثبت ذلك. وقال صلاح سالم أن ميزانية مكتب الاتصال الأمريكي في الخرطوم عشرة ملايين دولار، ويعمل به أربعون شخصا.

وأنا قلت أن هذا لابد أن يكون نكته، لان مكتبنا صغير جدا.

وطلب السفير من صلاح سالم أن يمده بأشياء مكتوبة تثبت ما قال، وتعهد صلاح سالم أن يفعل ذلك في وقت لاحق ...

رأينا:

أولا: تعمق في نفسية المصريين أن السودان جزء من مصر. ولهذا، لن يكن سهلا إقناعهم بالعكس.

ثانيا: أكثر من مرة، قال لي صلاح سالم أن الرشاوي تغير السياسات، في السودان وغير السودان. ولم ينف أن مصر ترشي سياسيين سودانيين ... »

ناصر غير الرسمي: ١٧- ٨- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

« ... حضرت حفل عشاء في منزل السفير احمد حسين (سفير مصر في أمريكا) مع ناصر، وعبد الحكيم عامر، و زكريا محي الدين ...

كان النصف الأول من اللقاء الطويل عن مواضيع غير رسمية في جو غير رسمي. واعتقد أن استعداد ناصر لتمضية وقت طويل في مواضيع شخصية معنا (كان مع السفير مساعده باركر) يدل على تحسن رأيه فينا ...

وفي الجانب الرسمي، تحدثنا عن كل جوانب العلاقة بين البلدين. حاولت إقناع ناصر أن حلف بغداد ليس إلا لحماية المنطقة من الشيوعية. واقترحت عليه أن يقلل هجومه على العراق ...

كان ناصر متفهما، واعتقد أنه فعل ذلك لأننا كنا مجموعة نشترك في النقاش. لكنه لم يخف احتقاره لنوري السعيد (رئيس وزراء العراق) ...

وقضينا وقتا طويلا نتحدث عن تفوق إسرائيل العسكري على مصر. وسياسة الدول الغربية بان تكون إسرائيل دائما أقوى على الدول العربية.

ولاحظت أن عامر (القائد العام للقوات المصرية المسلحة) انتبه لهذه النقطة. وأنا قلت له الأتي:

أولا: نريد لمصر أن تكون قوية حتى لا تخاف عدوانا من إسرائيل.

ثانيا: حتى حل المشكلة بين العرب وإسرائيل، لابد أن نضمن تفوق إسرائيل.

ثالثا: لن نسمح أن تكون مصر أقوى من إسرائيل.

رابعا: أفضل لمصر ألا تكون أقوى من إسرائيل ...»

أسلحة روسية: ٢١- ٩- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... جاء لزيارتي السفير احمد حسين بناء على طلب ناصر نيقول لي أن ناصر يقدر محاولتي لإقناعه ألا يشترى أسلحة من روسيا. وانه يعرف أن محاولاتي كانت مخلصة. لكن، صارت الصفقة أمرا واقعا. وان الصفقة تجارية أكثر منها سياسية، وسيحاول ناصر ألا تكون لها تداعيات سياسية. وانه كان لابد أن يفعل ذلك خوفا من ثورة ضده

داخل الجيش المصري. وان الجيش يقدر على استبداله، وإذا حدث ذلك، ستستمر الصفقة مع روسيا على أي حال. وإذا ذهب هو، ستتعقد الأمور أكثر في مصر، وبالنسبة لنا ...

وحسب رسالة ناصر، يريد أن يفاوض إسرائيل، لكن، لابد من مفاوضتها من موقف قوى. وانه قرأ كثيرا عن سياستنا في الصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي تجعله يعتقد أننا يمكن أن نفهم ما فعل (شراء الأسلحة من روسيا).

وقال السفير حسين أن ناصر طلب منه العودة إلى منصبه في واشنطن مباشرة بعد مقابلتي ليبلغ المسئولين الأمريكيين أن يتفهموا القرار.

رأيي أن ناصر كان سيخلع من السلطة إذا رفض العرض الروسي لشراء أسلحة في غياب موافقتنا نحن على بيع أسلحة له. وليس السبب هو ضعف ناصر، ولكن الوضع العام في مصر منذ ٢٨ فبراير (هجوم إسرائيل على غزة).

ربما لن يعلن ناصر الصفقة رسميا. ونحن نرفض الرد على أسئلة الصحفيين حول الموضوع. وننتظر كيف ستتطور الأمور ... »

(السفير احمد حسين: اختاره ناصر سفيرا في أميركا. وكان حسين وزير الشئون الاجتماعية في وزارة مصطفى النحاس التابعة لحزب الوفد. وحسب مقابلة صحيفة «الأهرام» مع أرملته عزيزة حسين في سنة ٢٠٠٢، استقال زوجها قبل سنة من ثورة ١٩٥٢، استقال احتجاجا على تدخل النحاس في شئون وزارته. وعرض عليه ناصر وزارة، لكنه فضل أن يكون سفيرا في واشنطن بسبب زيارات ومحاضرات سابقة في أمريكا، له ولها. وتحدثت الزوجة عن ضغوط اللوبي اليهودي في الكونغرس لعرقلة العلاقة بين أميركا ومصر. وقالت أنها شهدت، في يوليو سنة ١٩٥٦، يوم استدعي جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكية، زوجها ليقول له أن أمريكا قررت عدم دعم بناء السد العالي. وقال له سببين:

أولا: سيكلف السد العالي كثيرا، وستكون القروض الخارجية عبئا على الشعب المصري.

ثانيا: يعارض الشعب الأميركي «مساعدة دولة تعمل ضد المصالح الأميركية.»)

إسرائيل تتحفز: ١٨- ١٠- ١٩٥٥

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

« ... حسب الأخبار من تل أبيب، يبدو لي أن صفقة الأسلحة الروسية دفعتهم نحو مزيد من الخوف والتطرف. طبعا، نحن نقدر على أن نستمر في جهود السلام، وأن نحاول إقناع الدول العربية بالوصول إلى اتفاقيات مع إسرائيل. لكن، في هذه الحالة، يجب أن تقدم إسرائيل تنازلات أرضية كثيرة، خاصة في النقب، وربما في الجولان الغربي وطبرية ...

اعرف أن إسرائيل لا تتحمس لهذه التنازلات. بل ربما ترفضها تماما.

لكن، على إسرائيل والولايات المتحدة وبقية الدول الغربية الاعتراف بان التحرك الروسي الجديد في المنطقة غير المنطقة كثيرا ...

في الماضي، كنا نأمل أن العرب سيقبلون بإسرائيل لأنهم ضعفاء، وان هذا سيسرنا ويسر أصدقاء إسرائيل في الولايات المتحدة. لكن، علينا الآن أن نعيد النظر في هذه النقطة ...

وأنا أعتقد أن الشعب الأمريكي لن يقبل تحول المنطقة من المصالح الغربية إلى المصالح الروسية فقط لاستمرار دعم إسرائيل، وهي مهددة برميا بهجمات الدول المحيطة بها، حتى إذا كان ذلك إرضاء لمجموعة ضغط وسط الناخبين الأميركيين (يقصد اليهود، لكنه، طبعا، لا يقدر على أن يكتب ذلك) ...

أعتقد أن ناصر، رغم كل التطورات الأخيرة، يمكن أن يرحب بتحركات نحو السلام من جانب إسرائيل. مثل تنازلات في النجف، أو القضية الفلسطينية، اعتمادا على قرارات سنة ١٩٤٧ من الأمم المتحدة، وبعدها، عن الحدود، واللاجئين، والقدس، وغيرها ...

«الصهاينة»: ١٨- ١٠- ١٩٥٥

من: وزير الخارجية

إلى: السفير في القاهرة، وسفراء آخرين في الشرق الأوسط

(مذكرة عن اجتماع في البيت الأبيض اشترك فيه نيكسون نائب الرئيس)

« ... قلت أنا (دالاس، وزير الخارجية) نريد الحديث عن سياستنا في الشرق الأوسط. ونحن في هذا الوضع الصعب لان الإدارات السابقة (يقصد إدارة الرئيس ترومان، على الأقل) كانت تضع سياسات في المنطقة حسب اعتبارات سياسية، ولترضي رغبات الصهاينة في الولايات المتحدة. وخلق هذا عداء لنا من جانب العرب. وها نحن الآن نرى الروس يستغلون هذا الوضع ...

وقلت أن من مصلحة الولايات المتحدة الابتعاد عن المصالح الحزبية في هذا الموضوع، ووضع سياسة تخدم الشعب الأمريكي كله. وألا، يمكن أن نفقد كل الشرق الأوسط، وربما إفريقيا أيضا. وستكون هذه كارثة ليس فقط للولايات المتحدة، ولكن لحلفائنا في أوروبا أيضا ... »

(«صهاينة» : هذه كلمة نادرا ما يستعلمها علنا المسئولون الأمريكيون في وصف الإسرائيليين. وتبدو هذه وثيقة نادرة في هذا المجال. خاصة، على لسان وزير الخارجية، وفي اجتماع ضم نيكسون نائب الرئيس. ليست في المذكرة إشارة إلى ما قال الآخرين في الاجتماع. حتى اليوم، لا يقدر السياسيون الأمريكيون على أن يستعملوا علنا كلمات مثل «صهاينة»، وحتى «اللوبي اليهودي»).

بريطانيا والسد العالي: ٢٧- ١١- ١٩٥٥

من: أنتوني أيدن، رئيس وزراء بريطانيا

إلى: الرئيس دوايت أيزنهاور

«السيد الرئيس: الآن اتصل وزير الخارجية هاورلد مع وزير خارجيتكم دالاس لإبلاغه تفاصيل معلومات مقلقة باحتمال اتفاقية بين مصر وروسيا لبناء السد العالي ...

إذا نجح الروس في الوصول إلى نهر النيل، سيقدرون على فعل ما يريدون في السودان، وسيسيطرون على مياه النيل، وستكون نتائج ذلك وخيمة على القارة الإفريقية ...

علمنا أن عبد المنعم القيسوني (وزير الخزانة المصري) وسمير حلمي (رئيس مجلس مشروع السد العالي) وصلا واشنطن للاتصال مع البنك الدولي حول إمكانية «كونسورتيوم» غربي لبناء السد. وعلمنا أن شركة الكسندر جيب لبريطانية تعاقدت لتكون مستشارة هندسية ...

إذا فشل المصريون في الحصول على قرض غربي، أخشى أن الروس سوف يتعاقدون معهم. وستكون الصفقة عن طريق بولندا، مثلما كانت صفقة الأسلحة عن طريق شيكوسلوفاكيا ...

حسب معلوماتنا، ليس البنك الدولي متحمسا لمستقبل الاقتصاد المصري، خلال الثلاثين سنة القادمة. ولهذا، يريد مساهمات خارجية. نحن مستعدون لتقديم دعم والاشتراك في «كونسورتيوم»، مع فرنسا وألمانيا. اعتقد أنهما سيشتركان. وسيكون مفيدا جدا إذا ساعدت حكومتكم، وإذا اشتركت شركات أمريكية في المشروع ... »

واشنطن والسد العالي: ١- ١٢- ١٩٥٥

مذكرة اجتماع مجلس الأمن الوطني في كمب ديفيد، برئاسة الرئيس ايزنهاور، وحضور وزير الخارجية دالاس وآخرين:

« ... قال الوزير دالاس أنه يريد أن يقدم نائبه هوفر ليشرح الوضع بالنسبة للسد العالي في مصر ...

وأوضح هوفر أن الخارجية الأمريكية وصلت إلى قناعة عن أهمية مساعدة مصر في بناء السد العالي. وان هناك اتصالات مع البنك الدولي والبريطانيين حول هذا الموضوع ...

ثم تحدث الوزير دالاس، وقال انه، في الوقت نفسه، هناك إخبار بان الروس يريدون عقد صفقة مع المصريين لبناء السد العالي. لهذا، حتى إذا قدمنا نحن عرضا سخيا للمصريين، ربما سيقدم الروس عرضا أفضل. لكن، يجب أن نستمر نحن في خطتنا. إذا وافق عليها المصريون، سيكون صعبا عليهم أن ينضموا إلى المحور الشيوعي. كما

أن وجود خبراء ومهندسين وغيرهم من دول العالم الحر في مصر لابد أن يؤثر على بقاء مصر في معسكر العالم الحر ...

لكن، يجب أن يعرف مجلس الأمن الوطني أن هذا المشروع تابع للحكومة المصرية، وكأننا نحن، الدولة الحرة الرأسمالية، نساهم في مشروع اشتركي، أو شبه شيوعي. لكن، في الجانب الآخر، إذا فاز الروس بالمشروع، سيكون بداية تحويل مصر إلى دولة شيوعية كاملة ...

وأضاف دالاس ما قال إنها نقطة هامة جدا، وهي أن لابد من صلح بين مصر وإسرائيل، لان مصر لا يمكنها أن تبنى هذا المشروع العملاق وتريد أن تحارب إسرائيل التي يمكن أن تدمره طبعا ... »

(قدم همفري نائب الوزير معلومات، منها:

أولا: سيكلف السد بليون وثلث بليون دولار، كتقدير أولى.

ثانيا: إذا استمر البناء لعشرين أو خمسة وعشرين سنة، سترتفع التكاليف إلى بليوني دولار.

ثالثا: ستضغط أمريكا على مصر لمنع أي بذخ في ميزانيتها حتى تتحمل نصيبها من النفقات.

رابعا: ستضطر الولايات المتحدة لتقديم مزيد من المساعدات لدعم الميزانية المصرية).